

الخاتمة

لقد ظهرت العقائد البارزانية في عصر لم يكن فيه تشريع مكتوب ولا سلطة قوية للدولة. وقد طبعت الحقبة التي ظهرت فيها تلك العقائد بمتانة مؤسسة الاقطاع. في القرن التاسع عشر ارتدى كفاح تكية بارزان طابعاً مميزاً. لقد تجسد ذلك الكفاح في إطار جعل تكية بارزان المركز الديني الوحيد بين الأكراد الذي سعى إلى سياسة قوامها إزالة الاستقرارية الزراعية وتحريض الفلاحين من الجور الاقطاعي.

ليس هناك أدنى شك في أن ذلك شكّل خطوة مهمة نحو العدالة. لكن ما أبقى الأطار العام لتلك العملية التاريخية شيئاً هو أنها اقتصرت على البارزانيين ولم تعم مناطق أخرى. قطعاً لم يكن ذلك ثورة برجوازية كلاسيكية بل كان تحركاً في إطار المحافظية لأن محري الفلاحين لم يكونوا مدينيين، بل ريفيين، ولم تكن أيديولوجيتهم رأسمالية، بل دينية. وهذا لم يوفر الشروط الضرورية لتحويل الانتاج الزراعي إلى انتاج بضاعي، اي من أجل تحقيق الربح. وهناك ميزة تنفرد بها مشيخة بارزان وهي عدم ظهور استقرارية دينية-زراعية فيها، ذلك أن العقائد البارزانية مرهونة في جوهرها بالاقتصاد الطبيعي، اي الاقتصاد الذي يعتمد على الطبيعة ولا يكون من أجل السوق.

لقد اقامت العقائد البارزانية مجتمعاً تحكمه القيم السامية واعطت للجماعة هوية خاصة بالاعتماد على القواعد الأخلاقية الراسخة. وتشكل حقبة الأربعينيات بداية منعطف كبير في حياة المشيخة. ففي هذه الحقبة اندمج البارزانيون بالسياسة ودفعهم ذلك إلى التصادم مع بغداد. في هذه الحقبة واجه البارزانيون ظروفاً صعبة، فقد تحولت أعداد منهم إلى لاجئين في روسيا، وحوكم زعيمهم الشيخ احمد وعدد كبير من اتباعه وسجناً، وتم نفي أعداد أخرى إلى

مناطق بعيدة. وعلى الرغم من ان هذه المحنـة زعزـعت الهـيكل الـاجتمـاعـي للـبارـازـانـيـنـ، فـأنـهـاـ سـاـهـمـتـ فيـ تـطـوـيرـ وـعيـهـمـ الـقـومـيـ وـانـهـتـ عـزـلـتـهـمـ الـخـاصـارـيـةـ. فيـ سـنـوـاتـ السـتـيـنـاتـ وـعـىـ الشـيـخـ اـحمدـ المـصـاـبـعـ التـيـ تـعـتـرـضـ اـبـقـاءـ جـمـاعـتـهـ بـعـيـدةـ عنـ التـأـثـيـرـاتـ الـمـحـيـطـةـ. لـقـدـ اـعـتـدـتـ سـيـاسـتـهـ عـلـىـ التـوـرـيجـ لـنـمـطـ قـويـ مـنـ الـمـحـافـظـيـةـ وـالـابـقـاءـ عـلـىـ نـفـسـ النـظـرـةـ الـانـغـلـاقـيـةـ السـابـقـةـ، لـكـنـ الـعـالـمـ كـانـ قـدـ تـغـيـرـ لـدـرـجـةـ اـنـهـ لـمـ يـعـدـ يـقـبـلـ وـجـودـ مجـتـمـعـاتـ مـنـغـلـقـةـ خـارـجـ مـسـارـ الـخـاصـارـةـ. لـقـدـ بـلـغـ النـشـاطـ الـدـينـيـ لـلـشـيـخـ اـحمدـ اوـجـ عـزـهـ الرـوـحـيـ فـيـ السـتـيـنـاتـ. وـلـمـ يـكـنـ مـكـنـاـ لـشـخـصـ وـاحـدـ، مـهـماـ بـدـرـتـ مـنـهـ الـمـواـهـبـ وـالـامـكـانـاتـ، اـنـ يـقـفـ بـوـجـهـ تـيـارـ التـغـيـرـ الـعـارـمـ. فـيـ عـامـ ١٩٦٩ـ زـالـتـ مـشـيـخـةـ بـارـزاـنـ بـرـحـيلـ زـعـيمـهـ.

انـ العـقـائـدـ الـبـارـازـانـيـةـ كـمـنـظـومـةـ قـيمـيـةـ مـتـرـابـطـةـ سـائـرـةـ الـىـ زـوـالـ. وـلـذـلـكـ اـسـبـابـهـ. فـمـنـذـ عـامـ ١٩٦٩ـ يـعـيـشـ الـبـارـازـانـيـوـنـ بـلـاـ قـيـادـةـ دـينـيـةـ تـحـظـيـ بـالـاجـمـاعـ. وـبـذـلـكـ صـارـتـ الـحـيـاةـ الـدـينـيـةـ لـلـبـارـازـانـيـنـ حـرـةـ، بـمـعـنـىـ اـنـ الـاـطـارـ الـادـبـيـ لـلـالـلتـزـامـ الـدـينـيـ لـمـ يـعـدـ قـوـيـاـ كـمـاـ كـانـ فـيـ السـابـقـ. وـقـدـ اـفـضـىـ ذـلـكـ مـنـ النـاحـيـةـ الـعـمـلـيـةـ الـىـ تـهـاـويـ الـمـبـرـاتـ الـنـظـرـيـةـ لـلـعـقـائـدـ وـتـضـعـضـعـ عـنـفـوـانـ جـمـوعـةـ كـبـيرـةـ مـنـ الـقـيـمـ الـعـرـيقـةـ. اـنـ مـنـظـومـةـ الـقـيـمـ الـبـارـازـانـيـةـ تـنـدـمـجـ تـدـرـيـجـياـ بـنـظـومـةـ الـقـيـمـ الـسـنـيـةـ وـتـفـقـدـ اـصـالتـهاـ وـشـروـطـهـاـ الـمـيـزةـ.

مـنـ اـنـهـيـارـ الـشـوـرـةـ الـكـرـدـيـةـ فـيـ عـامـ ١٩٧٥ـ بـدـأـتـ اوـسـعـ عـمـلـيـةـ اـنـدـمـاجـ الـبـارـازـانـيـنـ بـالـمـجـتـمـعـ وـالـخـاصـارـةـ. لـقـدـ صـارـ اـنـغـلـاقـ الـاجـتـمـاعـيـ وـاقـامـةـ الـعـلـاـقـةـ مـعـ الـطـبـيـعـةـ جـزـءـ مـنـ تـرـاثـ الـمـاضـيـ.

انـ العـصـرـ الـراـهنـ يـخـتـلـفـ بـشـكـلـ جـوـهـريـ عـنـ الـعـصـرـ الـذـيـ ظـهـرـتـ فـيـ الـعـقـائـدـ الـبـارـازـانـيـةـ. وـمـنـ الـواـضـحـ اـنـ الـعـوـاـمـلـ الـتـيـ شـارـكـتـ فـيـ ظـهـورـ تـلـكـ الـعـقـائـدـ وـاـنـتـشـارـهـاـ لـمـ تـعـدـ مـوـجـودـةـ. وـمـعـ تـنـاميـ الـمـكـاـبـسـ الـسـيـاسـيـةـ الـتـيـ حـقـقـهـاـ الـبـارـازـانـيـوـنـ وـاعـطـاءـ الـاسـبـقـيـةـ لـلـقـومـيـةـ، الـتـيـ هـيـ اـشـلـ وـاوـسـعـ مـنـ الـقـيـمـ الـقـبـلـيـةـ الـقـديـمةـ، يـصـبـحـ مـنـ الصـعـبـ الرـجـوـعـ اـلـىـ الـحـيـاةـ السـابـقـةـ. وـلـيـسـ الـصـرـاعـ قـائـمـاـ بـيـنـ الـانـغـلـاقـ وـالـانـدـمـاجـ، كـمـاـ كـانـ الـحـالـ فـيـ سـنـوـاتـ الـخـمـسـيـنـاتـ وـالـسـتـيـنـاتـ وـاـوـاـلـ الـسـبـعينـاتـ. اـنـ عـلـىـ الـجـمـيعـ، وـمـنـ ضـمـنـهـمـ الـبـارـازـانـيـوـنـ، اـنـ يـعـيـشـواـ زـمـنـهـمـ. وـفـيـ هـذـاـ الزـمـنـ لـيـسـ مـنـ خـيـارـ سـوـىـ الـانـدـمـاجـ.